

الأصول التاريخية للحضارة الإسلامية في الشرق الأقصى

أ.د. إبراهيم خليل العلاف

استاذ متمرس - جامعة الموصل

لم يكتب الا القليل عن انتشار الاسلام والحضارة الاسلامية في الشرق الأقصى وجنوب شرق اسيا . ولعل من افضل من كتب عن هذا الموضوع استاذنا الكبير الاستاذ الدكتور فيصل السامر (رحمة الله عليه) ، وقد صدر كتابه عن وزارة الثقافة والاعلام في بغداد خلال سنة 1977 .

وفي هذا الكتاب حرص المؤلف ان يبرز تأثير الاسلام في حياة وفكر مجاميع كبيرة من شعوب الهند والصين واندونيسيا .. ولعل مما اعطى للكتاب قيمة إضافية ان المؤلف عمل في اندونيسيا دبلوماسيا عراقيا لسنوات ، فخير المنطقة واطلع على الكثير من الوثائق والمخطوطات والمعلومات التي تساعد في تعميق معرفتنا بالاصول التاريخية للحضارة الاسلامية في الشرق الأقصى .

والكتاب يضم فصولا ستة ، كرسها المؤلف لمتابعة حركة العرب والمسلمين باتجاه البحار الشرقية ، ونشرهم الاسلام هناك وسفاراتهم الى الصين في العصور الوسطى وفضلهم على حركات التجديد في اندونيسيا في العصور الحديثة . ومن الامور التي اكد عليها المؤلف متابعة علاقة البلدان العربية ببلدان الشرق الأقصى والتي ترجع الى الالف الثالث قبل الميلاد .. كما دلت الشواهد التاريخية على عمق العلاقات العربية مع جزر الهند الشرقية والفلبين .

وعبر عناوين خمسة هي على التوالي : أقدم الصلات -التجارة العربية -الرحالة العرب واساطير الشرق -الوجه العلمي للرحلات العربية ، أكد المؤلف بأن التجارة كانت عاملا مهما من عوامل انتشار الاسلام ، والثقافة العربية في تلك المناطق والاقاليم القاصية .

وإذا كانت الحكايات الخرافية ، والاساطير الجغرافية التي حفلت بها الكتب العربية طوال العصور الوسطى قد ازدهرت في القرن التاسع الميلادي ؛ فإن التجار الرواد والرحالة العرب كان لهم دور في نقلها من الشرق الاقصى وجنوبي شرقي اسيا . وعلى الرغم من اجتهاد طلائع الرحالة العرب في وصف المناطق المذكورة ، والتي سلكتها التجارة العربية الى الشرق الاقصى فإن "الاستعداد للتأمل العلمي كان يعوزهم ، ومع هذا فإن ما دونوه من ملاحظات لا يخلو من قيمة علمية كبيرة " .

وبعد ان يتطرق المؤلف الى ما يسميه "السياحات العربية الى الصين " ، وغيرها من مناطق الشرق البعيد يشير الى نقطتين هما :

1. إن كثيرا من منجزات العرب والمسلمين في حقول الحضارة والثقافة والاداب والفنون ذات علاقة مباشرة بحمية المسلمين في نشر دينهم في كل بقعة يستطيعون الوصول اليها باعتبار أن ذلك جزءا من رسالة الاسلام .

2. إن تلك المنجزات إرتبطت بهدف ثان ، هو النشاط الاقتصادي الذي رافق توسع الدولة الاسلامية وامتداد اقاليمها ؛ فمع ان التاجر المسلم كان يسعى للتجارة والحصول على الارباح ، الا انه لم يألُ جهدا في نقل

عقيدته ، وايصالها الى جميع اولئك الذين يقدر له ان يتعرف عليهم في رحلاته في الاقاليم التي يذهب اليها .

ثم يتتبع المؤلف قصة نشر الاسلام في جنوبي شرقي آسيا والشرق الاقصى ، ويقول بأن هذه القصة ذات فصول عديدة تتطوي على صفحات مشرقة من الدأب ، والجهد ، والمشقة وهي سجل حافل يشغل قرونا تمتد من القرن السابع الميلادي حين ظهر الاسلام ، وحتى القرن الثامن عشر .

كما يؤكد على ان انتشار الاسلام في تلك البقاع جرى بطرق سلمية ، وبواسطة الدعاة . ويشير الى ان الاسلام كان له تأثير ثوري .. كما عد دعوة الى التجديد والنهوض . وفضلا عن ذلك كان الاسلام وراء دعوات المقاومة ضد النفوذ الاستعماري والاجنبي ايا كان ؛ ففي اندونيسيا على سبيل المثال اصبح الاسلام رمزا لمقاومة النفوذ الهولندي ، وعاملا موحدا للشعب الاندونوسي علاوة على كونه معارضا لنظام الطبقات الهندوكي . ولاريب في ان من اسباب نجاح العرب المسلمين في اندونيسيا هو انهم جلبوا معهم افكارا ثورية لاعادة صنع الحياة بمختلف أوجهها ولذلك صادفت افكارهم ومعتقداتهم الاسلامية هوى في قلوب الجموع المغلوبة على أمرها .

وفي الفصول الاخرى وقف المؤلف عند الدول الاسلامية التي قامت في الهند جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن ، ومنها اسرة الخلجيين 1290-1320م ، واسرة تغلق 1320-1412م واسرة اللوديين 1451-1526 . وقال انه لم يؤثر عنها اتباع طرق الاكراه في نشر الدين كما انها اضافت الى الموروث الحضاري الهندي ، وابدت من التسامح باتجاه السكان الكثير .

ومما يقوي ذلك اننا نرى حتى يومنا هذا آثار الهند الاسلامية المعمارية المبتوثة على طول القارة الهندية وعرضها .. ومع ان تأثيرات الاسلام والحضارة الاسلامية في المجتمع الهندي يمكن ان تشغل فصولا طويلا الا ان المؤلف فضل الاشارة الى ما احده الاسلام من أثر في مركز المرأة الهندية ، وفي مجال انتشار روح الاسلام وقيمه ومثله في المجتمع الهندي والى التأثير الثقافي الذي تركه الاسلام في الحياة الدينية الهندوكية وفي مجال التأثيرات المعمارية والفنية والحضارية .

أيضا عالج المؤلف في الفصل الخامس من كتابه الروابط والعلاقات بين الامة الصينية والامة الاسلامية ، وناقش السفارات المتبادلة بين العرب والصينيين ايام الامويين والعباسيين . كما كشف الكثير من الثغرات التي انفردت بذكر تلك السفارات ، لكنه اشار استنادا الى شواهد تاريخية الى انه لايشك في وجود تلك السفارات ابدأ .

ثم وقف عند حركة التجديد التي شهدتها اندنوسيا عند اوائل القرن العشرين والتي عمدت الى بذل جهود ترمي الى جعل التطبيقات الدينية منسجمة مع روح العصر وقادرة على أن تقف في وجه الحضارة الغربية وتياراتها الدينية والثقافية والتي بدأت تغزو المجتمع الاندنوسي وتفقده جوانبا من أصالته .

كما بين المؤلف دور بعض المنظمات والحركات الاصلاحية الاسلامية امثال "جمعية الصين الفتاة " و"جمعية المسعى العالي " 1908 و"جمعية الشراكة الاسلامية " 1911-1912 و"الحركة المحمدية " 1941 وقد اندمجت المنظمتان الاخيرتان ابان الاحتلال الياباني لتشكلتا "حزب الماشوهي " الذي تحول

بعد قيام جمهورية اندونيسيا في آب سنة 1945 الى حزب سياسي والجدير بالملاحظة ان معظم تلك المنظمات قامت كرد فعل ضد مختلف اشكال النفوذ الاستعماري .

واخيرا ؛فإن كتاب الاستاذ الدكتور فيصل السامر هذا ، جهد علمي بارز ، واطاعة قيمة لجانب من جوانب تاريخنا الاسلامي ، ووجهة نظر عربية صادقة في موضوع كتب فيه المؤرخون الاجانب ، وأغفله المؤرخون العرب المعاصرون .وجدير بالجميع - وخاصة المهتمين بهذا اللون من المواضيع - ان يطلعوا عليه ؛ فهو بحق بحث قيم. والذي نأمله ان يكون هذا الجهد محفزا للمختصين الى مزيد من الدراسات في هذا الميدان البكر من ميادين الدراسات التاريخية المعاصرة . *

*المقال منشور في جريدة "الجمهورية " البغدادية وفي العدد الصادر في 9-12-1977 .